أصحابُ الإمام محمّد ناصر الدين الألباني الأوائل

١٩- محمد منصور بن حاج نوح آدم

(الكُتُبي الصالح)

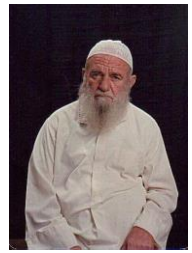

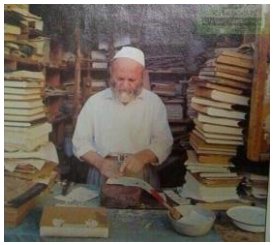

- **الاسم والنسبة:**

أبو جعفر محمد منصور بن حاج نوح نجاتي آدم، الأرنؤوطي الألباني، ثم الدمشقي، المجَلِّد، شقيق العلامة الألباني، ومن شيوخ صنعة «التجليد» بدمشق.

واسمه مركّب: (محمد منصور)، وأسماء إخوة الشيخ الألباني: كلها مسبوقة بـ(محمد) على الطريقة العثمانية، سماهم أبوهم بذلك؛ تبرُّكًا بهذا الاسم، ورغبةً في أن ينشؤوا صالحين متّبِعين لنبيهم محمد ﷺ.

ونسبته: (آدم) لأنه كان لكل واحدٍ من إخوة الشيخ الألباني نسبة خاصة: (أرنؤوط- نجاتي- آدم)، فوحّدتهم الحكومة السورية باسم جدّهم آدم، إلا الشيخ ناصرًا؛ فلشهرته بالألباني في كتبه، قام برفع دعوى في المحكمة، وأثبت لنفسه نسبة: الألباني.

ويُكنَى: بـ(أبي جعفر)، فهو أبو جعفر المنصور، ووافق لقب الخليفة العباسي الشهير وكنيتَه، كما قال لي أستاذنا العباسي.

- **مولده ونشأته:**

ولد في أَشْقُوْدْرَة (shkodra) عاصمة ألبانيا عام ١٣٣٥- ١٩١٦م، وعندما بلغ سن التمييز هاجر به أبوه، فنزل مع أسرته بدمشق في حي اسمه «حكر السرايا» قريب من العمارة، ثم اشترى قطعة أرض قريبة من أحد المساجد في «حي الديوانية»، وبنى عليها بيتًا وتزوج فيه، وذلك بعدما كثر الأرنؤوط في حي الديوانية؛ الذي صار يُعرف فيما بعد بحارة الأرنؤوط، أو «العدوي»، وكان يقول: أرجو أن يغفر الله لأبي ويدخلَه الجنة؛ لأنه أتى بنا إلى بلاد الإسلام، وكان يقول: الحمد لله على السكنى بالشام والإقامة بالديوانية.

وأخبرني ابنه جعفر أن جده الشيخ نوح كان وحيدًا لأبيه، وأنه كان حريصًا على تربية أولاده، حتى إن عمه محمد فخري استأذن والده في زيارة أخواله وأقاربه في ألبانيا فلم يأذن له، حتى أخذ عليه موثقًا في أن يعود ولا يقيم في ألبانيا، فلما آتاه موثقَه أذِن له.

وقال لي: إن جده هو من أوائل من أضاف «الشهرية» إلى الساعات الجدارية، وذلك بإضافة مسنّن، يتحرك مرة واحدة كل ٢٤ ساعة، وكان عالـمًا بالفلَك وعارفًا بمطالع القمر؛ يصوم ويفطر وحده إذا رأى الهلال، ولم يرَه الناس، وصنَع تقويمًا دهريًّا (روزنامة) مبنيًّا على قواعد حسابية، يُعرف بها التاريخ القديم والحديث وأوقات الصلاة، ويحوّل بها التاريخ من الميلادي إلى الهجري، ومساحتها ٥٠×٧٠، وكان جدّي قد صنع لها إطارًا وعلَّقها، ثم صار هذا التقويم وتلك الساعة من نصيب أبي، فأما الساعة فبَلِيَت مع الزمن، وما زال التقويم عندنا.

- **أسرته:**

تزوج الشيخ أبو جعفر بامرأة بوسنوية، وما زالت حية إلى الآن، وأنجب منها ولدين وسبعَ بنات، **وأولاده منها على الترتيب:** خديجة، ورجاء، وجعفر (وهو مولود عام ١٩٥٥م، وعمل نجارًا، وقد تعلم هذه المهنة من عمه فخري، وكان جعفر هو الذي يَلي أمر مصلى العيد الذي أنشأه الشيخ ناصر بدمشق بعد هجرة الشيخ إلى الأردن، وبعد انتقاله إلى ساحة ذي قار أو ما يعرف «بالجندي المجهول» على سفح قاسيون، فيُعِدُّ الحُصُر والإذاعة ويشرف على تنظيمه)، وسلمى، وبُجَيدة، وحيدر، وفاطمة، ونُسيبة، وبُريدة.

وأصهار الشيخ أبي جعفر على الترتيب: منذر حرايري، (وهو من أصحاب الشيخ ناصر القدامى، وكان طيَّارًا عسكريًّا ثم مدنيًّا، وله فضل في نشر دعوة الشيخ في العالم، وكان عمل مدة في الإمارات، ثم رجع إلى دمشق، واستقر به المقام قبيل وفاته في عمان الأردن وتوفي فيها أواخر سنة ١٤٤١ رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، **وأسامة الجندي** (وهو من طلاب الشيخ ناصر أيضًا، وتخرج في كلية التاريخ بدمشق، وعمل في السعودية مدة، ثم عاد إلى دمشق وتوفي فيها سنة ٢٠٠٨م رحمه الله)، وفاروق الحجار، **والشيخ محمد بن نصوح عودة** (وهو وأبوه من قدماء أصحاب الشيخ الألباني، وما زال حيًّا)، ورضوان آقبيق، وربيع الرز، وسامر بيرقدار.

- **دراسته وشيوخه:**

تتلمذ منصور على والده، ثم على أخيه الشيخ ناصر، وكان يَقرأ كل ما يَمُرّ عليه من الكتب النافعة التي يجلِّدها، وقال لي عبد اللطيف الألباني: لم يكن بمستوى عمي منير، وكذا قال لي الشيخ عبد الله بن منير.

- **صنعته:**

عمل الشيخ أبو جعفر مجلِّدًا، وبائعًا للكتب، وكان عنده في «المسْكِيّة» بدمشق محلًا لتجليد المصاحف والكتب المدرسية وغيرها، وكان قد تعلَّم هذه المهنة عند أحد الدماشقة.

والمسكية: سوقٌ يقع عند باب جامع دمشق الأموي الغربي، ثم طالت هذا المحل يدُ الهدم؛ لأجل كشف جدار الجامع الأموي، فاندثر وضاع.

وكان الشيخ أبو جعفر ماهرًا في حرفة التجليد، وذُكر أن بعض الكتبيين كان يضاعف ثمن الكِتاب إذا كان من تجليد أبي جعفر؛ لإتقانه وقوّته وجودته.

وكان الشيخ أبو جعفر يذهب إلى طهارة جلود الميتة إذا دُبغت، كما هو اختيار أخيه العلامة الألباني، وقال لي الشيخ عصام هادي: جَلّد أبو جعفر لشيخنا الألباني عددًا من كتبه، ومنها «تهذيب التهذيب» لابن حجر، رأيته عنده، وقد جُلِّد بتجليدٍ قويٍّ متين، قال: وأخبرني شيخنا أنه من جلد حمارٍ مدبوغ، فأخبرتُ شيخنا محمد السالك بذلك فتعجب جدًّا. انتهى

وسألت جعفرًا بن منصور عن هذا فقال: كان والدي يبعثني لأشتريَ له جلد معزى، ويُعرف بجلد «سختيان»، وهو مناسب للكتب، ولا أعرف أنه كان يجلد الكتب بجلد حمار، ولا يوجد عندنا في الدباغين بدمشق من يدبغ جلد حمار.

وسألت خادم الشيخ الأخ محمد الخطيب عن ذلك؟ فقال لي: لم أسمع به قبل اليوم.

قلت: والشيخ عصام من أهل الصدق والإتقان، ومَن حفِظ حجةٌ على من لم يحفظ، وقال لي الشيخ عبد الله آدم: ما رواه عصام عن الشيخ الألباني أثبَت وأوثق، وجعفر ابن عمي ولد بعد الخمسين الميلادية، ولعله فاته أشياء مما حفظها غيره.

- **أخلاقه وشمائله:**

عُرف الشيخ أبو جعفر بين أسرته بأنه أجمل إخوانه وجهًا، وأحسنهم خُلُقًا، وأطيبهم معشرًا.

وكان زاهدًا ورعًا يأكل من عمل يده، قانعًا بما يأتيه من مهنته من دَخلٍ قليل، ومِن وَرَعه أنه كان لا يجلد كتبَ المبتدعة، وكان يتصفح الكتاب قبل تجليده فإذا رأى فيه إلحادًا ونحوه امتنع من تجليده، واعتذر لصاحبه، وكان لا يَسمح لأحدٍ أن يصوِّره، وأما تلك الصورة التي انتشرت له، وظنها بعض الناس أنها صورة الشيخ الألباني، فلها قصة، وهي:

- **قصة الصورة:**

كانت هناك مجلة تابعة لشركة الطيران السعودية اسمها: «أهلاً وسهلاً» تأسست عام ١٩٧٧م، أعدت تقريرًا عن دمشق القديمة، وأخذت صورًا تراثية لأسواق البزورية والعَصرونية والمسكية، وغيرها من الأماكن القريبة من الجامع الأموي، فالتَقَطت هذه الصورة للشيخ أبي جعفر وهو واقفٌ يعمل في محلّه -بدون علمه- ثم نشروها في المجلة، وحازت هذه الصورة على ثلاثة أرباع الصفحة، فلما رآها بعض أهله عرفوه.

• استفتاؤه لمجلة المنار:

وقد وجه الشيخ منصور بعض الأسئلة لمجلة «المنار» التي كان يصدرها السيد محمد رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، وهي منشورة في العدد (٣٥/ ١٣٤) من «مجلة المنار» بتاريخ ١٣٤٥ – ١٩٣٥م، ضمن فتاوى المنار، وجاء فيها:

(س٨ – ١٠) من صاحب الإمضاء بدمشق الشام:

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} (الأنبياء: ٧) .

حضرة الأستاذ الفاضل السيد محمد رشيد رضا المحترم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فإن الأمر قد أشكل علينا في بعض المسائل، ولم نعثر على شيء منها، ونريد منكم أن تبينوا أحكامها بالتفصيل التام، ولم نر أحدًا نعتمد – بعد الله تعالى – إلا جنابكم، وهاهي الأسئلة:

١ – ما حكم استعمال الذهب في الكتب الإسلامية وغيرها (أي تذهيب الكتاب في الكعب)؟

٢ – ما حكم طبع الكتب للأديان الباطلة وتجليدها؟

٣ – هل يجوز حفر الصليب على النحاس أو على الزنك، وطبعها بالذهب على ظهر الكتاب؟

أفتونا، وانشروها في صفحات منارِكم الغراء، ولكم الأجر والثواب على الله تعالى، ودمتم للمسلمين ذخرًا.

الداعي

محمد منصور نجاتي

(٨) تذهيب جلد الكتب:

تزيين الكتب المجلدة بطبع أسمائها وأرقام عددها، وغير ذلك من الزينة بالمادة الذهبية المعروفة عند المجلدين – مباح لا يدخل فيما نهى عنه النبي ﷺ من الأكل والشرب في أواني الذهب والفضة، ولا ما زيد على ذلك خاصًّا بالذهب، كما بيناه من قبل مرارًا في باب الفتاوى، فلا نعيده.

(٩) طبع كتب الأديان الباطلة وتجليد كتبها:

نشر الأديان الباطلة والمساعدة عليه إقرار لها والمساعدة على الدعوة إليها أو معرفتها والاطمئنان بها فهو حرام، على الأقل في حال إنكارها والبراءة منها، وأما الرضا بها واستحلال نشرها والمساعدة عليه فهو كفر.

(١٠) حفر الصليب على النحاس أو الزنك وطبعه:

الصليب شعار لدينٍ غير الإسلام، فلا ينبغي لمسلم أن يساعد أهله على إظهاره، ولا أن يعارضهم فيه في دارالإسلام؛ ولكن أهله قد يتخذونه علامة لبعض مصنوعاتهم وتجاراتهم فلا يكون فيه إقرار لشيء من عقائد أهله ولا من عباداتهم، ففي هذه الحالة لا يُعَدّ من يحفره في المعدن لإعلان تجاري مثلاً موافقًا لشيء من دين أهله، ولا جانيًا على دينه هو. انتهت الفتوى

وقال لي الشيخ عبد الله آدم: وهذه الفتوى الثالثة لا يوافقه عليها الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ويرى أن في رسم الصليب إعانةً للنصارى على دينهم الباطل.

• أقوال العلماء فيه:

وصَفه الشيخ محمد عيد العباسي: بالأخ الفاضل.

وقال عنه الشيخ علي خشّان: صاهرتُ الأسرة سنة ١٩٦٣م وكنت أتردد إلى أبي جعفر محمد منصور شقيق شيخنا في دكانه في «المسكية»، ونشتري منه الكتب المدرسية المستعملة ونبيعه ما انتهينا منه، وكان من أمهر مجلِّدي الكتب وأتقنهم صنعة، ومن أنصح الناس لمن يتعامل معهم.

وهو رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي أرشدني لخطبة زوجتي أم عبد الله، ابنة أخيه محمد ناجي أبو أحمد، وذهب معي إلى شيخنا الألباني في المكتبة الظاهرية للحديث في هذا الموضوع، ولم يتيسر الحديث فيه لحظتها؛ لانشغال الشيخ ببعض الزوار، ولذلك قصة طريفة لي مع شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال الدكتور حسان الطيَّان: كان أبو جعفر جارَنا في «المسكية»، وكان صديقًا للوالد، ولا زلتُ أذكر حفاوته بنا عندما كنا صغارًا، ومودّته للوالد، وكان أستاذُنا النفاخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يرضى أن يسلّم كتابه إلى أحد إلا لأبي جعفر، وقد غضب مرة عندما جلّد له أخونا د. محمد الدالي بعض كتبه في الشعلان.

• صحبته للشيخ الألباني:

كان الشيخ منصور أشبهَهم بأخيه الشيخ الألباني، واستجاب لدعوته قديمًا، وكان يُخفي ذلك –هو وإخوته عدا منير– في حياة أبيهم الحاج نوح، وإنما أظهر ذلك بعد وفاة أبيه، لأنه والده كان يرى عدم جواز الخروج عن المذهب الحنفي، والاستقلال بالاستنباط من الكتاب والسنة، كما كان يفعل ابنه الشيخ ناصر، ولذلك كان الحاج نوح يعامل جميع الأولاد بأفضل مما يعامل ناصرًا ومنيرًا، وقال لي الشيخ عبد الله بن منير: كان جدي يزور دار أبي جعفر زيارة دورية كل يوم اثنين، فكان يمر علينا مرورًا، ولما ذهب أبي إلى الحج في المرة الأولى عام ١٩٥٤م كانت أمي تضع لنا كراسي نجلس عليها، فكان جدي يمر بنا ويمسح رؤوسنا ويقبلنا، ويمشي ولا يدخل بيتنا.

وكان منصور يحضر دروس أخيه الشيخ ناصر، وكان يحبه ويناصره، وهو رَحِمَهُ ٱللَّهُ سلفي المنهج، وكان رجلاً صالحًا، قريبًا من أخيه ومن أهل العلم، ولم يكن متَّسعًا في العلم كثيرًا.

وكان الشيخ منصور يبيع في مكتبته كتبَ أخيه الشيخ ناصر، في أوليتـه، حيث كانت المكتبات بدمشق ترفض أن تَعرض كتب الشيخ الألباني للبيع، فكان يبيعها في مكتبة أخيه وفي دكانه، وبواسطة إخوانه وتلاميذه.

وعندما أُبعِد الشيخُ الألباني من الأردن في مطلع هذا القرن الهجري نزل أول ما نزل على أخيه أبي جعفر في بيته بدمشق، وكان ممن استشارهم في خروجه من دمشق إلى لبنان.

وزار أخاه الشيخَ ناصرًا عدة مرات بعد استقراره في الأردن.

قال لي جعفر الألباني: ومن شدة تمسك عمي بالدليل كان يطلب الأدلة حتى على الأمور الدنيوية، فطلب مني مرة أن أحول له باب مكتبته في داره بالمهاجرين إلى (بابِ جرَّار)، فأتيته وكان عنده الشيخ علي خشان، فقال له الشيخ علي: يا أستاذ لو جعلته يفتح للخارج، فقال له الشيخ: ما هو دليلك؟ فقال: ما عندي دليل، فقال: إذن اسكت، وبعد أن أنهيت ما طلبه عمي، وفي اليوم التالي اتصل بي وقال لي: تعال فاعمل لي الباب كما اقترح علي خشان، فقلت له: وما هو دليلك، فقال: لأنه إذا خرجت ابنتي أخذته بيدها وهي خارجة.

• درس الشيخ الألباني القرآني في بيت أبي جعفر:

قال لي عبد اللطيف بن محمد ناصر الدين الألباني: كانت لوالدي جلسة في دمشق يجمع فيها أولادَه وأشقاءه وأولادهم، يُقرؤهم فيها القرآن، وكان يَصُفّهم صفين؛ الذكور في الأمام والإناث في الخلف، وكان يقرؤهم بالترتيب واحدًا واحدًا؛ يستمع لتلاواتهم ويصححها لهم، وأحيانًا يفسر لهم بعض الكلمات، وكانت تقام هذه الجلسة في بيت عمي أبي جعفر، ووضَع عمي أبا عبد الله الشيخ منير مشرفًا عليهم، وكان يجتمع بهم في كل اثنين لأنه يوم عطلة الحلاقين، وكان أخوه الأكبر نجيب حلاقًا، ومازال به إخوته حتى ترك مهنة الحلاقة وصار مؤذنًا في «مسجد الجوزة».

وقال لي جعفر: إن هذه الجلسة كان دوارة عند الإخوان: أبي جعفر، وأبي عبد الله، وأبي أحمد، وأبي عبد الرحمن.

• وفاته:

أصيب الشيخ أبو جعفر ببعض الآلام في الركبتين في آخر عمره، وكان يحتاج أحيانًا إلى من يعينه على القيام والمشي، ثم توفي بعد إجرائه لعمليةِ ترقيعٍ لفَتْقٍ في أمعائه سنة ١٤١٥– ١١/ ١٩٩٤م، ودُفن في مقبرة الدحداح، وقد بلغ ٧٨ سنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

إعداد: حسام بن محمد بن عبد الرحيم سيف
الضُّمَيري الدمشقي

(النشرة الأولى: سلخ رجب ١٤٤٣)